بن لادن الإخواني السلفي التكفيري أيضًا

الكاتبة الأمريكية جين ساسون، قدمت لنا خدمة جليلة، حينما طرحت الجانب الخفي في حياة قائد ومؤسس تنظيم القاعدة، في كتابها (إنه بن لادن) وعلاقاته بزوجاته، وأبنائه، وحياته الخاصة، ورسائله، بعد حوارها مع ابنه عمر، وزوجته الأولى نجوى غانم، التي وفق قولها، لا تعرف إلا الرجل، أما الغرب فهو لا يعرف سوى الإرهابي.

نجوى غانم هى ابنة عمة أسامة، سورية، ربطته بها علاقة عشق في شبابهما، وتوجها وعمرها ١٤ عامًا، بينما كان عمره هو ١٧ عامًا، وكان ساعتها ما زال يكمل دراسته ويتلقى تعليمه العالي الإنجليزي، ويعمل أثناء دراسته في التشييد، بشركة والده، لأنه وفق قولها كان محبًا وبشغف لحفر الأنفاق، وبقيادة بالسيارات الكبيرة، وقيادتها في الصحراء.

كان يقول لها في إحدى رسائله: أنت لي درّة ثمينة يجب حمايتها، وسأكون الصدفة الصلبة التي تحميك، تمامًا كما تحمي صدفة البحر

الصلبة الدرّة النقيّة.

كان لبن لادن ٥٥ أخًا وأختًا، لكن لم يكن لديه «واحدة» من إخوته البنات مقربة منه، بل اكتفي في حياته بزوجاته وبناته التسعة.

في البداية تزوج نجوى، وكانت حياتهما رائعة بمدينة جدة، وحين أنجبت له ابنه الأول عبد الله زاد ارتباطهما، وبعد ٤ من الأولاد، بدأت تظهر عليه تحولات اجتماعية، والبداية حين اخبرها أنه يريد التزوج من ثانية ليطبق سنة النبي في التعدد، وأنها لو لم توافق فإنه لن يجبرها على ذلك، لكنها كعادة المجتمع السعودي وافقت، لأنها محظوظة لأنه خيرها، فتزوج من خديجة، ثم من خيرية، ثم من أخرى تسمى سهام، وأنجب منهن جميعًا، وتحول بعدها للتقشف، وانتقل هو وعائلته إلا فيلا بالمدينة، إلا أن أولاده فوجئوا أنها خالية من الأثاث، وساعتها قال لهم: لن أنفق أموالًا على أثاث منزلي فانٍ!!.

لقد بدأ انفصال بن لادن عن الأشياء، وتصور أن المخترعات الحديثة كلها هى من الحياة الدنيا، فقد كان يكره أوربا وأمريكا وما يخرج منها، حتى أن أحد أولاده أصيب بالربو، وكان يحتاج لدواء الفانتولين، إلا أنه طلب منه التحامل والتعود على عدم أخذ الدواء.

كان بن لادن لا يزال حتى هذه اللحظة عاشقًا للعبة كرة القدم، ورغم أنه كان لا يفضل البقاء في المنزل كثيرًا، ولا يذكر عمر أن والده جلس مع أولاده واحتضنهم، إلا أنه في مرة فوجئوا به وقد أحضر لهم كرة، وساعتها لعب معهم، إلا أنه وقع على الأرض، وأصيب في كتفه،

واحتاج للعلاج لمدة ٦ أشهر.

كان يضرب أولاده بالعصا، وكانت زوجاته يعاملنه باحترام شديد جدًا، وكان لا يجرؤ أحد أن يضحك أمامه لا أولاده ولا حريمه، إلا أنه في مرة كان ذاهبًا للصلاة، وفى الحر الشديد كان عمر وراءه فلم يتحمل ذلك، فاحتضنه وحمله حتى أوصله للمسجد، وتقريبًا كانت هى المرة الأولى والأخيرة التي فعل فيها ذلك معه.

إن عمر يذكر أنه سأل والده أسامة، لما كانا صاعدين لأحد الجبال بأفغانستان وقال له: «لو سقطت فماذا ستفعل يا أبت؟» فأجابه بابتسامته المعهودة: «أدفنك يا ولدى».

فاطمة هي الابنة الأولى له وهي ابنته من «نجوى» التي ولدت عام ١٩٨٧، وتزوجت «فاطمة» بمحمد -مقاتل سعودي- عام ١٩٩٩ عندما كانت في الثانية عشر من عمرها، وتقول نجوى إن «بن لادن» كان يتبع الشرع في تزويج بناته وكان يخيرهم ويسألهم عن موافقتهم عن زوج المستقبل.

وأنجبت «نجوى» له إيمان ورقية ونور، وأنجبت سهام «خديجة ومريم وسمية»، كما أنجب من خديجة «عائشة» التي سافرت مع والدتها من السودان، ثم إلى سعودية، ولم تر والدها منذ ذلك الحين أى منذ عام ١٩٩٢.

بينما تعتبر «صفية» ابنة «أمل» هي أشهر بناته، حيث كانت الطفلة

ذات الإثنى عشر عامًا شاهد عيان على مقتل والدها.

قرر بن لادن الذهاب لأفغانستان، وهناك التقى بعبد الله عزام، واتفقا معًا على إقامة بيوت الأنصار في بيشاور، كما التقى أبو عبيدة البنشيرى، والظواهري، وسيد إمام، الذين أثروا عليه كثيرًا.

في أفغانستان كان القادة الأفغان والعرب يعاملونه بإجلال واسع، حتى أن عمر يقول عن والده: إنني رأيت الظواهري أكثر من مرة، وكان إذا أراد الكلام في حضرة والدي يقول له، هل يمكنني أن أتكلم؟.

اشتكى أولاده لأمهم نجوى، إنهم لا يجلسون مع والدهم مطلقًا، وأنه لا يهتم بشؤونهم، ويترك ذلك لمن يعملون عنده، وساعتها أخبرته، فجمعهم، وقال لهم، إننى لم أر جدكم سوى خمس مرات فقط، وأنا منشغل بشؤون العالم في ذهني.

كان لديه ابن متوحد، وهو عبد الرحمن، وكان ينظر إليه بأسى كبير، وفى أحد الاجتماعات مع قادة القاعدة، أخاف أحد أولاده عبد الرحمن بالكلاب، فجرى، وسقط من سطح الحجرة المبنى بالخوص والأشجار، فنظر لابنه في صمت، ولما علم أنه لم يصب، قال لعمر بقسوة: اجمع كلابك من هنا وإلا قتلتهم عقب اجتماعى.

يذكر في مرة أخرى أنه جمعهم، وقال لهم: إن هناك ورقة معلقة في المسجد تطلب انتحاريين، فمن منكم سيذهب ليضحى بنفسه في سبيل الله،

وساعتها ذهب حمزة وكان صغيرًا، وهو الآن الرجل الثانى في التنظيم.

انتهت الحرب، وعاد بن لادن إلى المملكة، لكنهم فتشوا عليه، وعلى بعض أتباعه، فخشي من ذلك وقرر العودة لأفغانستان ومنها ذهب للسودان، وهناك اصطحب نجوى وباقي أولاده، وضغط كلينتون لتسليمه، ففر مرة أخرى لأفغانستان، وأثناء هذه الفترة تم تفجير السفارتين في تنزانيا وكينيا، والمدمرة كول باليمن.

يذكر عمر أن أمراء سعوديين جاءوا لوالده لإقناعه بالعودة وتولى أعلى المناصب إلا أنه رفض ذلك تمامًا، وقرر العيش في مغارات جبال الهندكوش، وجبال تورا بورا.

لا تعرف نجوى في الجبال كيف تذهب للخلاء، لكن الحياة أجبرتها على أشياء لم تخطر على بالها، وأجبرت اولادها على أكل البيض المخفوق طوال أيام الأسبوع.

المرة الوحيدة التي جاء فيها الملا عمر إلى منزل بن لادن، كانت عقب تدمير السفارتين، يروى عمر القصة ليحكى عن حنكة والده وذكائه: فوجئنا بأكثر من ١٠ سيارات كروزر، نزل من واحدة منها الملا عمر، وكان يشبه والدي كثيرًا فقد كان فارع الطول، وفى وجه وعينه إصابات، وهذا فخر بأفغانستان، نزل متجهمًا، وأصر ألا يمد يده ويسلم على والدي، وقرر الجلوس على كرسي، وباقي الحضور يجلسون على الأرض ومنهم أبى، تكلم بالبشتونية رغم أنه يعرف اللغة العربية، وقال إن أفغانستان قدمت لكم الكثير، وعليك أن تمشي

فورًا وتبحث عن ملاذ آخر أنت وأولادك، فقال له والدي الذي يجيد البشتونية، إن السودان أعطتهم مهلة سنوات، ألا تعطينا بكرمك مهلة عامًا ونصف للبحث عن مأوى، فرفض الملا عمر، فعلب والدي على عاطفته الدينية، وقال له، إنك لو سلمتني فإنك بذلك اتبعت الغرب الكافر، وسلمت لهم مسلمًا، وساعتها سكت عمر، ووافق على بقائه عامًا ونصف فقط، وساعتها أحضرنا طعامًا من اللحوم، ولم نكن نرها منذ فترة طويلة، لكن الملا رفض، وقال أنا لست جوعانًا.

قرر هو وأولاده أن يزرعون مساحة كبيرة بين الجبال، ومما يخرج من الأرض يعيشون منه، كما أحضر لهم بن لادن خيولًا عربية، وقال لهم: إن زوج أمي محمد، وانا طفل كنت أريد (ماعز) فقال لي ازرعه، قلت له كيف، قال خذ عظمًا من لحمه الذي نأكله وضعه في الأرض، وبعد أسابيع سيخرج ماعزًا صغيرًا مثله، لكنى لم أجد شيئًا ولما سألته قال كنت أضحك معك، لذا فإنني أحرص أن أحضر لكم حيوانات ولن افعل معكم كما فعل معي.

أصر بن لادن على تعليم أولاده حتى وهم في الجبال، فكان أتباعه يدرسون لهم كل شيء، ولما تعبت نجوى في حملها الأخير، حاول عمر أن يقنعه بأن يتركها تذهب لسوريا، رفض في البداية، ولما علم بمرضها الشديد، وافق، لكنه رفض أن يتركها تأخذ أصغر أبنائها لادن معها، وكان عمره ٥ أعوام، لأنه يعلم أنها ستعود بسببه، وقال لها: لن أطلقك أبدًا يا نجوى، ولو سمعت أنني طلقتك فلا تصدقين.

ابنه الأكبر عبد الله عاد للمملكة فتزوج وقرر عدم العودة لأفغانستان، أما عمر فقد أرسله والده للسودان للبحث عن زوجة، وهناك رأى أن كل ممتلكات والده أخذتها الحكومة السودانية، وقدمتها كهدايا لأعضاء في الحكومة!!.

لعل هناك الكثير في حياة بن لادن، إلا أن الكتاب كان موفقًا جدًا لفهم البعد النفسي لشخصية بن لادن، والتي بطريقة ما أثرت على منهج تنظيم القاعدة، إلا أنه على كل حال كان إنسانًا مر بمتغيرات من حوله، حولته من رجل إلى إرهابي، وهذا تقريبًا هو حال جميع تلك العناصر، وليس زعيم القاعدة وحده.

obeikandl.com